﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: 17]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لما قَبْلَها:

بعد الانفراد والانعزال وقعَ لقاءُ التّشريفِ والتّكريم

بعد أن ذكرتِ الآيةُ السّابقة الأمرَ بذكر نبأ مريم وتلاوته، وبيّنت أنّها انفردت عن أهلها في مكانٍ شرقيّ في ابتداء قصّتها، جاءت هذه الآيةُ ببيان ما جرى مِن أنّها تكلّفتِ اتّخاذَ أسبابِ تلك الخَلْوة، بأنِ اتّخذت حجابًا يسترها عنهم وعنِ النّاس - مِن باب أولى - لتَعبُدَ ربّها، ففاجأها المَلَكُ وتمثّل لها بشرًا سَويًّا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حِجَابًا﴾: (حجب) أَصْلٌ يدلّ على المَنْع، يُقالُ: حَجَبْتُهُ عَنْ كَذا، أَيْ: مَنَعْتُهُ[1]، والحَجْب والحِجاب: المَنعُ مِنَ الوصول، يقال: حَجَبَه حَجْبًا وحِجابًا، وحِجاب الجَوْف: ما يَحجُبُ عنِ الفؤاد، وقولُه تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: 46]، ليس يعني به ما يَحْجُب البصرَ، وإنّما يعني ما يمنع مِن وصول لذّة أهلِ الجنّة إلى أهل النّار، وأَذيّة أهلِ النّار إلى أهل الجنّة، وقال ﷻ: ﴿*وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشّورى: 51]، أي: مِن حيثُ ما لا يَراه مُكَلِّمُه ومُبَلِّغُه، والحاجِبُ: المانِع عنِ السّلطان، والحاجبان في الرّأس لكونهما كالحاجبين للعين في الذّب عنهما[2]، والمُراد به في الآية أنّها جعلت بينها وبين أهلها ما يسترها في خلوتها مع ربّها[3].

2) ﴿رُوحَنَا﴾: (روح) أَصْلٌ يَدُلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطِّرادٍ، وأَصْلُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حجب).
(2) الرّاغب، المفردات: (حجب).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 9، والنّسفيّ، مدارك التنزيل: 2/ 329.

ذَلِكَ كُلِّه الرّيحُ، فالرّوحُ روحُ الإنسانِ، وإنَّما هوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرّيحِ، والرّوحُ: جَبْرَئيلُ ﷺ، قالَ اللّه جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشّعراء: 193 - 194][1]، والرّوحُ يُذَكّر ويُؤَنّث، والجمع: أَرْواح، ويُسَمَّى القرآن روحًا، وكذلك جبريلُ وعيسى ﷺ[2]، وجُعِلَ اسمًا للجُزء الذي به تحصل الحياةُ والتّحرّكُ، واستجلابُ المنافعِ، واستدفاعُ المَضارّ، وهو المَذكور في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85]، وسُمّي أشرفُ الملائكةِ روحًا، نحو: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ﴾ [النبأ: 38][3]، والمُراد في الآية بالرّوح جبريل ﷺ؛ لأنّ الدّين يحيا به وبوَحيه[4].

3) ﴿فَتَمَثَّلَ﴾: (مثل) أَصْلٌ يَدُلُّ على مُناظَرَةِ الشَّيْءِ للشَّيْءِ، وهَذا مِثْلُ هَذا، أَيْ: نَظيرُهُ[5]، ومِثل: كلمةُ تَسْوِيَةٍ، يُقالُ: هَذا مِثْلُه ومَثَلُه، كَما يُقالُ: شِبْهُهُ وشَبَهُهُ، بمَعْنًى[6]، والمُمَثَّلُ: المُصَوّر على مثال غيره، يقال: مَثُلَ الشّيءُ، أي: انتصب وتَصَوّر، والتِّمثالُ: الشّيء المُصَوّر، وتَمَثَّلَ كذا: تَصَوّر، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[7]، والمُراد به في الآية الكريمة: فتَصَوّر لها وتَشَبّه[8].

4) ﴿سَوِيًّا﴾: (سوي) أَصْلٌ يَدُلُّ على اسْتِقامَةٍ واعْتِدالٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ[9]، والسَّويُّ: ما يُصان عنِ الإفراط والتّفريط مِن حيثُ القَدْرُ والكيفيّة، ورجلٌ سَويّ: استوت أخلاقُه وخِلْقَتُه عنِ الإفراط والتّفريط[10]، وأَسْوَى الرّجلُ: إذا كانَ خَلْقُ ولدِه سَويًّا وخُلُقُه أيضًا، ولَمّا قالَ زَكَريّا لرَبِّه: اجْعَلْ لي علامَةً أَعلمُ بها وقوعَ ما بُشِّرْتُ به، قالَ: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ [مريم: 10]؛ أي: تُمنَع الكلامَ وأنت سَويٌّ لا أَخرسُ، فتَعْلَمُ بذَلِكَ أن اللّه قَدْ وهبَ لَكَ الوَلدَ، وقَوْلُهُ تَعالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ يَعْني: جبريل تمثَّل لمَرْيمَ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (روح).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (روح).
(3) الرّاغب، المفردات: (روح).
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 9.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (مثل).
(7) الرّاغب، المفردات: (مثل).
(8) الواحدي، البسيط: 14/ 214.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(10) الرّاغب، المفردات: (سوا).

وهيَ في غُرْفةٍ مُغْلَقٍ بابُها عليْها، محجوبةٌ عَنِ الخَلْقِ، فتَمَثَّل لَها في صورَةِ خَلْقِ بَشَرٍ سَويّ، والسَّويُّ: التّامُّ الَّذي قَدْ بَلَغَ الغايَةَ في شبابِه وتمامِ خَلْقِه وعَقْلِه[1]، وهذا المعنى هو المُراد في الآية الكريمة، أي: بَشَرًا معتدلًا تامًّا[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الخَلْوةُ مع الله سبيلُ المِنَحِ والعطايا

يخبر النّظمُ الجليلُ أنّ مريم عليها السلام قدِ اتّخذَت مِن دون أهلِها ساترًا يسترها عنهم وعنِ النّاس، فأرسلنا إليها حين انتبذت مِن أهلها مكانًا شَرقيًّا، واتّخذَت مِن دونهم حجابًا، جبريلَ فتَشَبّه لها في صورة آدميٍّ سَويّ الخَلْق، في صورة رجلٍ مِن بني آدمَ، معتدلِ الخَلْقِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ التّعبيرِ بالفاء في قوله: ﴿فَٱتَّخَذَتْ﴾:

سرعةُ المُبادَرة باتّخاذ أسبابِ الخَلْوة؛ شوقًا للأُنس بالمعبود

آثَرَ النّظمُ الكريم العطفَ بحرف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾؛ لأنّها للتّرتيب والتّعقيب، ولبيان أنّها بادرت بالاجتهاد على إتمام ما انفردت لأجله، وهو الاستتار وتحقيقُ الخَلْوة، وهذا لا يتمّ إلّا باتّخاذ الحجابِ السّاتر، وقد فعلت ذلك على وجه الاهتمام والمتابعة والبِدار، تبيينًا لشِدّة شَغَفِها بعبادة الله تعالى.

دلالةُ التّعبير بالاتّخاذ في: ﴿فَٱتَّخَذَتْ﴾:

التّكلّف في اتّخاذ المكان والحِجاب دليلُ الجِدّ والشّغَف بالخَلْوة

عبّر النّظمُ الجليلُ عنِ استتارها مِن أهلها بالاتّخاذ في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾، دون التّعبير بـ (أخذت)؛ لبيان أنّها أخذت ذلك الحِجاب بقصدٍ وتكلّف[4]، وذلك لما في صيغة الافتعال مِن دلالةٍ على الكُلفة، وفي هذا إشارةٌ إلى اجتهادها وجِدّها

(1) ابن منظور، لسان العرب: (سوا).
(2) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 214.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 162 - 163.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 183.

في هذه الخَلْوة، وشِدّة رغبتها فيها، وفيه إشارةٌ إلى إحكام العُزْلَة التي أرادتها بإلهامٍ مِنَ الله تعالى لها؛ لتكون مؤهّلَةً لتَلَقّي أمرِ ربّها.

دلالة التّعبير بـ ﴿مِن﴾:

قُربُ المكانِ الذي انتبذت إليه

جاء حرف الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ للدّلالة على قُرب المكان الذي انتبذت إليه، أي: أدنى مكانٍ منهم[1]، فليس غرضها الابتعاد، بلِ الخَلْوة، وهي تتحقّق بأدنى مكان.

دلالةُ التّعبير بالظّرفيّة في: ﴿مِن دُونِهِمْ﴾:

احتجَبَتْ عن الجميع، حتّى عن أهلها

قيّد النّظمُ الجليل الاتّخاذَ بأنّه كائنٌ مِن دون أهلِها في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾؛ تأكيدًا لانتباذها منهم، واعتزالها إيّاهم[2]، فالحجابُ كان مِن أهلها، والحجابُ عن غير أهلها يكون مدلولًا ضمن ذلك، وهذا تعبيرٌ عن شِدّة احترازها، وقوّةِ استتارها.

دلالةُ تقديمِ الجارّ والمَجرور ﴿مِن دُونِهِمْ﴾:

الدّلالة على تقديم المقصود بالاحتجاب على الحِجاب نفسِه

قدّم النّظمُ الجليلُ شِبهَ الجملةِ مِنَ الجارّ والمجرور ﴿مِن دُونِهِمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ دون أن يقول: (فاتّخذت حجابًا من دونهم)؛ لأنّ الغَرَض مِنَ الحجاب هو أن يكون ساترًا مِن أهلها، فقدّم المقصودَ بالاحتجاب على الحجاب نفسه؛ وفيه مبالغةٌ في شِدّة الاستتار، بحيثُ إنّها قصدت أن تستتر عن أهلها الذين تحيا بينَهم.

سِرُّ التّعبير بالحجاب:

جعلت بينَها وبين أهلها ما يسترُها ويَمنعُ الوصولَ إليها

آثَرَ القرآنُ الكريمُ التّعبير بالحجاب في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ دون ساترًا؛ لوجود فرقٍ بينهما، فمادةُ (حجب) تدلُّ على المَنع مِنَ الوصول؛ يقال: حجبتُه حجابًا فمنَعَهُ مِنَ الوصول،

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 183.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 23.

ومِن ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ [الأعراف: 46]، والمقصود من ذلك: ما يمنع من وصول لَذّةِ أهلِ الجنّة إلى أهل النّار، وأَذيَّة أهلِ النّار إلى أهل الجنّة، ولمّا كان الهدفُ هو منعَ الوصولِ بينَهما عبّر بالحِجاب؛ بخِلاف السّتر فإنّه لا يمنعُ مِنَ الدّخول والوصول على المَستور؛ لذلك كان تعبيرُ القرآن الكريم في هذا المشهد بالحجاب بأنّها جعلت بينَها وبين أهلها ما يسترُها ويَمنعُ الوصولَ إليها.

دلالةُ التّنكيرِ في: ﴿حِجَابٗا﴾:

إفـادةُ العمـوم والشّمول

آثَرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الحجاب بصيغة التّنكير في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾؛ إبهامًا له، إذِ المقصود هو الخَلْوة والانفراد عنِ الأهل، وهذا يقع بأيّ حجابٍ ممكن، وليس مِن مقصود القِصّة في القرآن بيانُ تفصيلِ ما لا طائلَ تحتَه، كما أنّه يَدُلّ على تعظيم ذلك الحجاب، فيفصح عن اجتهادها في الانقطاع عن كلّ أحد.

دلالةُ الفاء في: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ﴾:

سُـرعـةُ المـبـادرة بالبِشارة تكريمًا لها

آثَرَ القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالفاء دون غيرها مِن حروف العطف، لعطف قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾ على قوله جلّ شأنُه: ﴿فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا﴾؛ لبيان ما أكرمَها اللّهُ تعالى به في خَلْوتها تلك، وهذا يُبيّن أنّ إكرامَها بإرسال جبريل إليها كان عَقِبَ خَلْوتها، بلا مُهْلَةٍ طويلة، وفي هذا دلالةٌ على السّرعة والتّعقيب في أمر إرسال المَلَك إليها؛ لتعجيل البُشرى لها.

سِرُّ التّعبير بالإرسال دونَ البعث في: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ﴾:

الإرسـالُ أَخَـصّ مِنَ البَعْث

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإرسال دون البعث في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا﴾؛ لأنّ الإرسال يتضمّن أنّ الرّسول يحمل رسالةً، والبعثُ أعّم مِنَ الإرسال؛ لأنّه "يجوز أن يبعث الرّجلُ إلى

الآخَر الحاجةَ تخصُّه دونكَ ودونَ المبعوث إليه، كالصّبيِّ تبعثُه إلى المَكتب، فتقول: بعثْتُه، ولا تقول: أرسلتُه؛ لأنّ الإرسال لا يكون إلّا برسالة وما يَجْري مجراها"[1]، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأعراف: 59] فعبّر بالإرسال لأنّه تعالى حمّله رسالةً يُؤدّيها[2]، فآثَرَ النظم التّعبيرَ بالإرسال في الآية لأنّ جبريل عليه السلام كان يحمل مِنَ الله تعالى رسالةً مباركةً، وبُشْرَى ساميَةً إلى مريم عليها السلام.

دلالةُ نونِ العَظَمة في: ﴿فَأَرْسَلْنَآ﴾:

عِظَمُ المُرسِل، وعِظَمُ مضمونِ الرّسالة

أسند بليغُ النّظم الفعلَ إلى نون التّعظيم في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾؛ للدّلالة على أنّ الإرسال وقعَ لأمرٍ يَدُلّ على عَظَمة الله تعالى[3]، أي: أرسلنا جبريلَ بما لنا مِنَ العَظَمة؛ ليَهَبَ لمريم ولدًا بلا أبٍ، وهذا أمرٌ جليل في غاية العِظَم والإعجاز.

دلالةُ تَعَدّي الفعلِ ﴿فَأَرْسَلْنَآ﴾ بـ(إلى):

الغاية تُفْصِح عن بلوغ الرّسولِ إليها

عدّى النّظمُ الجليلُ فعلَ الإرسالِ بحَرف الجَرّ (إلى) دونَ غيره في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، وهو حَرْفٌ دالٌّ على الغاية، أي: انتهى جبريلُ إليها؛ لأنّها هي المقصودة بالإرسال.

دلالةُ تقديمِ ﴿إِلَيْهَا﴾ على المفعول به:

المقصود بالرّسالة مريمُ، وتقديمُها أولى مِن سِواه

قَدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة ﴿إِلَيْهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾، فلم يقل: (فأرسلنا روحنا إليها)؛ وذلك اهتمامًا بها، وأنّ الأهَمّ في القِصّة بيانُ المُرسَلِ إليه لا الرّسولِ، لأنّ السّياق جاء ليتحدّثَ عن نبأ مريمَ وقصّتها، فتقديمُ ما له علاقةٌ بها أولى وأبلغ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 289.
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 14/ 295، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/ 82.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 183.

دلالةُ الإضافة في: ﴿رُوحَنَا﴾:

تبيين عُلوّ المكانة بتشريفه بالإضافة

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّوح الدّالِّ على جبريل ﷺ إلى ضمير التّعظيم في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾؛ تعبيرًا عن عُلوّ مقامِه ﷺ، وتشريفًا له، وتوفيةً للمَقام حَقَّه[1]، فالسّياق يقتضي التّعظيمَ والتّفخيم؛ لأنّه إرسالٌ مِنَ الله تعالى عظيمِ الشّأنِ، والمُرْسَلُ مَلَكٌ عظيم، والمُرسَلُ به بشارةٌ ونبأٌ عظيم.

دلالةُ العطف بالفاء في: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾:

الترتيب والتّعقيب

الجملة في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ معطوفةٌ على قوله جلّ شأنُه: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ بالفاء[2]؛ للدّلالة على التّرتيب والتّعقيب، أي: إنّه قد تمثّل لها عَقِبَ بلوغِه إليها، بلا مهلةٍ ولا فاصلٍ يطول، بحيث إنّها لم تَرَ صورتَهُ المَلائكيَّةَ.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾:

انتقال جبريل ﷺ مِن صورةِ المَلَكيّة إلى صورة البَشَريّة

دلّ التّعبير بقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ على أنّ جبريل ﷺ انتقل مِن صورةِ المَلَكيّة إلى صورة البَشَريّة، وذلك لأنّ (مثَّل) يدُلُّ على مناظرة الشّيء بالشّيء، وهذا مِثْل هذا؛ أي: نظيرُه، والمُمَثّل: المُصَوّر على مِثال غيرِه؛ فكلُّ هذه المعاني تدلّ على أنّ التّعبير بقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ يُفيد انتقالَ جبريلَ ﷺ مِن صورة المَلَكيّة إلى صورة البَشريّة؛ لتَأْنَسَ مريمُ ﷺ في التّخاطُب معه، وفيه دلالةٌ على عدم نُبوّة مريمَ ﷺ؛ لأنّ جبريل كلّمها على مِثال البَشَر.

دلالة التّعبير بصيغة التّفعّل: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾:

عبّر القرآنُ الكريم بقوله: ﴿فَتَمَثَّلَ﴾ على وزن (تَفَعّل)؛ للإشارة إلى أنّ تَحَوّل جبريلَ ﷺ مِنَ المَلَكيّة إلى صورة البشريّة كان لأجل مريمَ ﷺ؛ مراعاةً لحالتها النّفسيّة والجسديّة؛ لأنّها لا تستطيع

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 260.

(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 282.

التّعامل مع جبريل بصفته المَلائكيّة، وفيه إشارةٌ إلى عناية الله بها؛ حيثُ جعل جبريل يكون في لقائها على صورة البشر.

دلالة التّعبير بـ (اللّام) في: ﴿لَهَا﴾:

التّحوّل مِنَ المَلَكيّة إلى البَشَريّة مراعاةً لحال مريم

عبّر النّظمُ الجليل باللّام الجارّة التّعليليّة في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ للدّلالة على أنّ غاية التّمثّل بصورة البَشَر السّويّ، إنّما وقع لأجلها، أي: كان التّمثّل مُراعيًا حالَها، فهي منفردَةٌ لعبادة ربّها، تستوحِشُ مِن كلّ أحدٍ يَصرِفها عن مناجاة مولاها، فما حَدَث مِن تمثّلٍ إنّما وقع لأجلها.

دلالة تقديم الجارّ والمَجرور ﴿لَهَا﴾:

اختصاصُ مريمَ عليها السلام بهذا التّمثّل

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملةِ مِنَ الجارّ والمَجرور ﴿لَهَا﴾ في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ دون أن يقول: (فتمثّل بشرًا لها)؛ لأنّ المقصود بالتّمثّل هي دون غيرها، فهو تَمثّل مناسبٌ لها، خاصّ بها، وأنّ صورتَه بهذه الهيئة الحسنة السّويّة ممّا كان خاصًّا بها، فلم يتمثّل بهذه الهيئة في موضع آخَر.

سِرُّ التّعبير بـ: ﴿بَشَرًا﴾:

البَشَر حُسْنُ الهيئة، وهو أنسب لصفة السّويّ

آثَرَ النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ البَشَر في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ لأنّ لفظ البَشَرِ "يَقْتَضي حُسْنَ الهَيْئَة؛ وذَلِكَ أَنّه مشتقّ مِنَ البشارَة، وهي حُسْنُ الهَيْئَة، يُقال: رجلٌ بشير، وامرأةٌ بشيرة، إذا حَسُنَ الهَيْئَة"[1]، فلمّا أراد أن يبيّن أنّه سَوِيٌّ حَسَنُ الهيئةِ، كان التّعبيرُ عنه بأنّه بَشَر أبلغَ وأنسبَ للسّياق.

دلالة التّنكير في: ﴿بَشَرًا﴾:

جاء التّعبير القرآنيّ ﴿بَشَرًا﴾ مُنَكّرًا للدّلالة على الشّيوع وعدمِ تحديده، وفي ذلك إشارةٌ إلى عدم معرفتِها به، وتعيينها له.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 276.

دلالةُ وصفه بكونه: ﴿سَوِيًّا﴾:

حُسْنُ الصّورةِ أدعى لتقبّل الدّعوة

وصف النّظمُ الجليل بشرًا بكونه سويًّا، في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾؛ للدّلالة على أنّه تحوّل إلى بشرٍ سويٍّ في خَلقه، حَسَنِ الشّكل، بحيثُ تألفُهُ العينُ؛ لئلّا تشتدّ نفرتُها وروعُها منه[1]؛ "وإنّما مُثّلَ لها في صورة الإنسان لتستأنسَ بكلامه، ولا تنفرَ عنه؛ ولو بدا لها في صورة الملائكة لنَفَرَت، ولم تقدر على استماع كلامه"[2]، وفيه دلالةٌ على استواء أخلاقِه وخَلْقِه عنِ الإفراط والتّفريط، وفي تمثيله بشرًا سويًّا بهذه الهيئة الجميلة اختبارٌ لعِفَّتِها، وابتلاءٌ لها، وما كان منها إلّا الورعُ والعَفافُ الدّالُّ على كمال طهارتها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

البَشَرُ والنّاس:

البَشَر مِن حُسْن الهيئة والمنظر، والإنسان مِنَ الحركة

الفرق بَين النّاس والبشر: "أَنّ قولنا البَشَر يَقْتَضي حُسْنَ الهَيْئَة؛ وذَلِكَ أَنّه مشتق مِنَ البِشارَة وهي حُسْنُ الهَيْئَة، يُقال: رجل بشير وامرأة بشيرة، إذا حَسُنَ الهَيْئَة، فسُمِيَ النّاس بشرًا لأَنّهم أحسنُ الحَيَوانِ هَيْئَةً، ويجوز أَن يُقال: إِنَّ قَوْلنا بشر يَقْتَضي الظُّهورَ، وسُمّوا بشرًا لظُهور شَأْنهم، ومِنْه قيل لظاهِر الجلد بَشَرةً، وقَوْلنا: النّاس، يَقْتَضي النّوْسَ، وهوَ الحَرَكَة، والنّاس جمعٌ، والبَشَر واحِدٌ وجمعٌ، وفي القُرْآن: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [المؤمنون: 24]"[3]، وفي الآية الكريمة عبّر بلفظ البَشَر لأنّه أراد أن يُبيّن أنّه سويٌّ حَسَنُ الهيئة، فكان التّعبيرُ بلفظ البَشَر أبلغَ وأنسبَ للسّياق.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 183.
(2) النّسفي، مدارك التّنزيل: 2/ 329.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 276.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»